العلاقات الحربية

بين إيران واليونان فى عهد القوة الهخامنشية

(من بداية حكم قوروش ٥٥٠ق.م. حتى موت خشايارشا ٤٦٦ق.م.)

أ.د. محمد علاء الدين منصور

أستاذ اللغات الشرقية

كلية الآداب – جامعة القاهرة

تمهيد :

ظهرت الدولة الهخامنشية أو الأخمينية أو الأكمينية فى وقت كانت فيه الإمبراطوريات على وشك الاندثار وأقصد بها الإمبراطوريات ذوات الحضارة والشأن فقد انقرضت أشور وظهر على إثرها إمبراطورية بمختصر فى بابل ولكن جذوتها انطفأت بعد أن قضى عاهلها العظيم نحبه وآل حكمها إلى نابونيد الذى كان متفرغًا للآداب فترك أثقال الدولة لتصرف أبيه بلشنرا ، ولم يكن هذا أهلا للاضطلاع بها مع تمسكه بالمعتقدات العتيقة. وكان ملوك بنى إسرائيل الضعفاء يتناوبون عرش سورية وخمدت روح مصر الحربية وأضحت تعتمد فى حروبها على جند مأجورين من الأجانب واعتمدت على شجاعتهم لا على أخلاص قادتهم . وكانت ليديا وكفايتها ومنزلتها إلى ذلك الحين مجهوله وقد نشأت دولة جديدة فى ميديا على أنقاض فريجيا وكانت متداخلة فى العالم اليونانى المتأخر لها وبدا العالم كأنه ينتظر حدثًا هامًا فلم يكد يكتمل عام ٥٥٠ ق.م. حتى ظهر قورش ملك أنشان من الأسرة الهخامنشية وانتزع عرش ميديا من استياجس الذى يقال أنه يمت اليه

بصلة القرابة فصهر قورش الشعبين المنتمين إلى أصل واحد فى أمة واحدة تحت وسلطانة . ولايعد الاستيلاء على ميديا مظهرًا من مظاهر العنف ، بل كل ما وقع هو أن أسرة فارسية حلت محل أسرة ميدية وأصبحت كلمتا الميدى والفارسى من ذلك الحين فى نظر الغربيين ذات دلالة واحدة اللهم إلا فيما امتازت به الجيوش الفارسية من شهرة واسعة .

رنا قورش ببصرة إلى تلك الامبراطوريات فاستولى على بابل التى كانت حليفا له من قبل ليكمل عدد ولايات إمبراطوريته إلى العشرين . ثم أكمل قمبيز مشروع والده للاستيلاء على مصر ويجعلها نقطة غزو للبلاد المجاورة لها وتتابع الغزو مع تتابع الملوك حتى بلغت الامبراطورية أقصى اتساعها من الهند إلى حدود بلاد اليونان.

إيران واليونان

قورش (سيروس) الأكبر:

فى الواقع لم تكن هناك علاقات حربية مباشرة بين إيران واليونان فى زمن قورش (سيروس عند اليونانيين) وإنما يمكن أن ندخل تلك الحروب التى أخذت مجراها بين قوتين وبين كروسوس الليدى وهو الذى أصبح شبه اليونانى وكان يحكم الجزائر الأيونية وهى تعد من يونان آسيا ولها دور عظيم فى مسلك علاقات إيران باليونان فقد أحسَّ كروسوس طاغية ليديا بريح العدوان ولم يكن فى وسعة استمرار العلاقات الودية الصافية التى عقدها والد استباجُس ، أما وقد انتزع قورش عرش استياجُس، فقد تغير الموقف، وحاول إثارة نابونيد وأحمس المصرى وينذرهما بالخطر المحدق وحصل على عقد حلف معهما ومع اسبرطة ضد فارس وأرادا استفزاز قورش قبل أن يستعد أحلافه فضل يتريا وقبل قورش التحدى ونزل الميدان ونشبت موقعة غير فاصلة أجبرت كروسوس على الانسحاب إلى ساردیس

عاصمته الغربية . وأرسل الطاغية يستحث حلفاءه لإعداد حملة تتأهب للعمل فى فصل الربيع ولكن قورش لم يمهله إذ اجتاح الإقليم وبلغ ساردیس واحتلها وأخذ الطاغية أسيرًا وضم ليديا إلى امبراطورية فارس وهنا حاولت المدائن الأيونية أن تقاوم الحكم الفارسى غير مستغلة سقوط الطاغية لأن كروسوس – كما قلت – وكما يقول بعض المؤرخين كان رجلا متحضرًا ومحبا للإغريق إلى حد ما ولم يكن فتوحاته من الكوارث المختصة. ويذكر البعض سببًا لاستفزاز كروسوس العاهل العظيم الفارسى فقد استشار عرافه دلفى (مركزة نبوءة الإله أبو للون) التى كان يضمر لها أعظم الاحترام (كما قال الإغريق) فانبأته لو عبر نهر هاليس (حاليس) فإنه سيحطم إمبراطورية قوية ، وقد عبر نهر هاليس وحطم بالفعل إمبراطوريته عظمى ولكنها كانت إمبراطورية هو لسوء الحظ إذ أنه كان قد نسى أن يسأل عن الإمبراطورية التى كانت ستتحطم . وقد أوصلت هذه الحروب سلطة الفرس إلى ساحل بحر إيجة حوالى سنة ٥٤٨ ق.م. ومن الملاحظ أن الأيونيين قد خضعوا للسلطان الجديد وهو أمر لم يكن لهم منه بد. أما أسبارطة فقد بعثت إلى العاهل العظيم تنذره ألا يتدخل فى شئون اليونانيين وإلا فإنهم لن يسمحوا له بشئ من ذلك ثم أنها لم تتخذ إجراء آخر ولم يتلق منها قورش إنذارا ما عدا ما سبق.

أصيب قورش بسهم فى قتاله للقبائل المتمردة فى الشرق وقضى بسبب ذلك نحبه ، وتولى قمبيز الذى توجه لفتح مصر وللأنباث فى النوبة . تناهت أخبار من فارس بقيام ثورة أهلها أتباع المجوسية القديمة مناهضين الزردشتية من الأكمنيين . وولى قمبيز وجهه شطر الشمال فى جيشه بعض الأشراف ومن بينهم ابن عمه دارا الأبعد ووالده هيستاسيس للقضاء على هذه الفتنة ولكنه لقى منيته فجأة وقيل أنها كانت أثر نوبة من نوبات الصرع. وسار الجيش فى طريقة الى فارس وواصل مطاردته حيث انسحب المجوس من إيسوس إلى ميديا واستطاع دارا أن يقتل المدعى وهو (جاوماتا) ولما لم

يكن أحد باقيا من ذرية قوريش وكان دارا ووالده يمثلان الفرع الأصغر من البيت الأكمينى لذلك آل تاج قورش إليه وتولى العرش سنة ٥٢٢ ق.م.

دارا (داريوش) العظيم

حارب دارا فى مجرى الشهر الثانى من عامى ٥٢٢-٥٢١ تسعة ملوك وتسع عشرة معركة وكانت هذه الغزوات فى قلب الإمبراطورية فى بابل وميديا وفارس وسيوسيانا ووسط إيران الولاة المعزولون الغربيون بقوتهم المستقلة.

وفى سنة ٥٤١ ق.م. قام دارا بأول تجربة له فى احتكاكه بأوربا، كان الإسكيندیون (السّك) فى بلاد روسيا يغيرون على حدود الإمبراطورية الفارسية وكما يقول هيرودوت فإن ذلك هو السبب فى مبدأ احتكاك دارا بالجزء اليونانى حيث يوجد الحدائق الأيونيوية ، وبرغم قول هيرودوت هذا إلا أن التاريخيين قد اختلفوا فى تفسير نوايا دارا ومقصده فيقول " بيرن" أن سبب الاحتكاك ثورة فى أيونيا ويقول البعض أن هدف دارا هو إخضاع تراقيا بينما كانت المحاولات وراء نهر الدانوب مقصودا منها الاستطلاع أكثر من قصائد الغزو والفتح . وفى رواية الإغريق إن اليونانيين لم يكونوا هدفه المباشر. ولا يمنع أن يكون هدف دارا يجمعها جميعا . على أى فقد عبر الفوسفور على جسر من القوارب ومنها سار إلى تراقيا فى شمال بلاد اليونان فأخضعها وضمها إلى مملكة الواسعة ثم خطر له أن يعيد الكرة على الاسكيندیين فأقام له الإغريق جسرا عظيما على نهر الدانوب من القوارب وتركهم فى حراسته معطيا إياهم مدة ستين يوما كحد محتمل لغيابه . وبرغم من أنه كان غازيا منتصرا سريع التنقل إلا أن جيوشه لاقت ما تلاقيه سائر الجيوش التى تقدم على التوغل فى بلاد روسيا من المصاعب وانقطع طريق إمداده عنه وقوبل ببسالة الأعداء ومثابرتهم على القتال فكانوا يحاربونه فى

الجبال والأماكن العسرة المسالك ولا يدخلون معه فى قتال كبير بل يناوشونه وكان فنهم فى الحرب أى (الاسكيندبين) أنهم يتبعون طريقة الاستنزاف وردم الآبار واتلاف مناطق الرعى بينما عجز الفرس المشاه عن رد هؤلاء الفرسان. فحارب دارا متقهقرا نحو الدانوب وكان على شفا فناء جيشه فناءً تامًا ،ورغم ذلك فقد استطاع أن ينجو من خطر الاسكيندبون ومن خطر الايونيين فلقد خطر فى بال ميلتيادس ملك أو طاغية خرسونيس أن يقطع على دارا خط الرجعة وخابر لمدن اليونانية فى آسيا واتفق معها على هدم الجسر المقام على نهر الدانوب لكنه وواجه برفض هيستيايوس حاكم ميلتوس فقد عارض أهل وطنه فحرمهم لذة النصر والاستقلال . يرفض بيرن هذا فلو نفذ هذا الأمر لم يكن لدارا أى أمل فى العودة ودليله أن كل حاكم يونانى له أعداء يثيرون حوله الضغائن ولكان قد فر ميلتيادس هاربا من غضب دارا ن ولا نستبعد حدوث مثل هذا فالأيونيين يدافعون عن طريق تخيلهم عن الحراسة عن حريتهم واستقلالهم . وكر دارا راجعا وقد ترك قوة فى تراقيا تحت قيادة ميجابازوس وأخذ الأخير يواصل عملياته الحربية بامودارا فى ثري والجبتاى.

الثورة فى أيونيا :

بعض المؤرخين الثقات يصل ما بين غزو دارا الإسكيندبين وما بين ثورة أيونيا باعتبارها فى رأى جمهرة المؤرخين أول محك بين اليونان وإيران واليونان فى هذه المرة يونان أوربا لا أسيا . فلقد قاد الإسكيندبين فى جنوب روسيا دارا لحرب الإغريق فلقد أراد دارا أن يأخذ البلقان من الاسكنيديين كى يحرم الإغريق من استيراد القمح من شواطئ البحر الأسود ثم لمتاخمة سهولة روسيا الجنوبية موطن الاسكيندبون حدوده على طول نهر جاكسارتيس ثم إنه بسيطرته على هذه الناحية يستطيع فرض حكمه على

البلاد التى يمر الذهب عابرًا بها لأن هذا المعدن النفيس كان يستخرج من أورال أو سيبريا وبدافع هذه الأسباب ابتدأ يعد حملته فى المقابلة الأولى بين أسيا وأوربا وحسب روايات الإغريق كان الجيش يضم ٧٠٠,٠٠٠ رجل تتقدمه بعثة بحرية يقودها ريموسيدس طبيب دارا الخاص لتعرف على الشواطئ اليونانية وبقبول مدينته بيزنطية الحكم الفارسى باستيلاء دارا على كرسونيس بدأ الغزو وعبر الجيش المضايق على جسر من القوارب وهزمت ثريس فى الشرق والجيتاى وعبر الدانوب على جسر بناه الايونيويون - كما سبق - ولكن الجيش فقد اتصاله بالأسطول بسبب المستنقعات والأنهار وتوغل الجيشين داخلية البلاد وبدا الاسكيندبين ينهكون الفرس دعاء دارا فى النهاية بما صفق نتائج ظاهرة فلقد طوقت أسيا أوربا وجناحيها فى ثريس ومقدونيا وتحكم دارات فى المراكز التجارية لتجارة القمح فى البحر الأسود وعندما أصبح سيدا للشطر الأعظم من العالم الإغريقى تحقق أن غزو بقية الإغريق سهل بالقياس إلى ما حققه .

وقامت الثورة فى أيونيا . واختلفت آراء التاريخيين فى أسباب قيامها .

فمن قائل أنه دارا لم لايجزل المكافأة لهيستيايوس خائن اليونان كان مكلفا على حراسة جسر الدانوب فأثار ذلك حفيظ : ابن أخيرا رستاوراس فجاهر بالعصيان وقامت الثورة فى أيونيا ومن قائل أن هيستيايوس اعتقله الفرس لتشككهم فى نواياه وأراد خلفه ارستوغوراس يقرر مركزه فقدم جزائر بحر إيجة غنيمة لمرزبان سرديس ولكنه لم يوفق فى رضاء حاشية الإمبراطور فوق ذلك إلى القيام بثورة منظمة والبعض يذكر أن هيستيايوس أرسل عبدا إلى ارستاغوراس يحرضه على الثورة فيرسله الملك الفارسى ليخمد هذه الثورة وبذلك يرجع هيستيايوس إلى موطنه ووصل العبد برسالته موشومة على رأسه فى وقت كان ارستموراس فى حالة يأس بعدما افشل هجومًا فارساي على ناكوس بل أن البعض ذكر أن دارا اخذ هيستايوس

كناصح خصوصى له وحمله على الأسر الذهبى فى سوسا وترك ميلويس تحت حكمه ابن أخيه رتساغوراس ويذكر جيرشمان أن صعوبة تعامل الفرس مع اثينا – التى انقضت حلفها معهم وانضمت إلى اسبرطة – واسبرطة شجعت الايونيونيين ليرفعوا رؤسهم ويتخلصوا من الاستعمار الفارسى . والأصح ف- فى رأيى – ان ارتساغوراس بعدما فشل فى غزو ناكوس وأصبح فى قلق ويأس خيفة عقاب الفرس دفعه هذا اليأس الشغب فى ايونيا كرد فعل لما سيحدث ولكن ايونيا كانت نفسها مستنفرة . لقد رغب أهلها فى الثورة كانت ايونيا تدفع ٤٠٠ تالنت سنويا ولاتعود هذه الأموال فى إصلاحات محلية وتضايق السكان بنظام الحكم المحلى فى سلطة الغاة بدليل أنهم طردوا بمجرد قيام الثورة . وذهب ارستاغورس يطلب النجدة من ملك اسبرطة كليموينيس فرفض الأخير عبد المسافة من بين ساحل البحر الايونى ومدينة الملك الفارسى ولكن المتمرد حصل على عشرين سفينة من أثينا واحدة والأغريون بخمس سفن . وبهذه المعونة الضئلة هجم المتمردون على سرويس واستولوا عليها ما عدا قلعتها التى كان يدافع عنها ارتا فيزنيز بنفسه وحاول المتمردون تحريض قبرص وفينيقيا على الثورة للتمكن من القتال فى البر والبحر وكان نصر المتمردين قصيرًا . لقد جن جنون الفرس عن رؤيتهم سرديس تحترق وهى اغنى مدائن تلك الأيام فأرسلو الجيوش لتخليص سرديس وأجبرت المتمردين على الانسحاب تحت جنح الظلام بعد فشلهم فى التحكم فى المدينة بينما انفجرت الحرب بين أثينا وإيبنيا وانسحب القاريون المتمركزون فى البحر . وقامت قوات الفرس بسحق المتمردين فى معركة افيزوس وأخذ القتال وجهة أخرى فى البحر وتجمع أسطول يونانى من ٣٥٣ سفينة للمنافعة ولكن لما ظهر الأسطول الفارسى المكون من ستمائة سفينة فينيقية وقبرصية تعمل تحت إمرة الفرس انسحب الوثينيون والارتريون وكسب الفرسي موقعة لاده (٤٩٤ق.م.) وتأكد الفشل للحلف بقيادة اسبرطة

وأثينا وتلقت ميلتوس ضربات أليمة واشتعلت بيزنطية وعومل الايونيون بقسوة فظيعة حتى، المنطقة ظلت تقاسى نتائج هذه المعاملة لمدة قرنين كما نقلت نساء ميلتوس إلى آمب على مصب نهر دجلة بعد قتل رجالها وتأكد النير الفارسى على اليونانية فى آسيا الصغرى واقتنع دارا بضرورة غزو اليونان الأوربيين السهل وأجبرت الثورة أثينا على أن تبنى أسطولا كان له الدور الأكبر فى الحروب القادمة كما استفادت ثريس ومقدونيا الفرس وحصلوا على استقلالهم .

غزو بلاد اليونان : ماردونيوس فى ثريس سنة ٤٩٣ق.م :

كان المظنون أن المسألة ستنتهى عند هذا الحد لولا أن اثينا وأرتريا تدخلتا فيها من البداية وهو أمر اعتبره العاهل العظيم قحة لا يتسع لها حلمه وجاء الوقت الذى أراد دارا فيه أن يسوى حسابه مع اليونانيين . ولكن – كما نعرف – أن أثينا كانت تميل إلى حماية العاهل الفارسى وأن العداء كان مستحكمًا بينها وبين أسبرطة وإن فشلت الدبلوماسية الفارسية بانضمام أثينا إلى الحلف المناوئ لأسبرطة بعد ذلك ألا أن دارا فضل إن يحاول إرجاع الجزء الديمقراطى اليونانى الذى يفضل فكرة قبول حماية العاهل العظيم وكانت مجهودات القادة الكبار الفرس موجهة إلى استرجاع الديمقراطية ورأسها هيبياس طاغية أثينا المخلوع إلى مقرها أثينا من الناحية الأخرى فقد أفلتت تراقيا من قبضة الفرس كما واصل الاسكيندييين غاراتهم على داخلية البلاد وكان أمل دارا إن الشعوب الإغريقية عندما ترى الحظر الفارسى من قابها ترى نية الفرس بأخذ أثينا وأرتريا ستلقى هذه الشعوب بالمحافظين وتضع نفسها حماية الفرس . وكان هناك طريقان أحدهما بحرى يقع عبر البحر الإيجى حيث توجد جزر على طول الطريق إلى أثينا وكان هذا الطريق يبعد بأكثر من مائتين ميل من موانى آسيا الصغرى كنا كان الطريق

البرى معروفا وأكثر صلاحية بالنسبة إلى القوات الفارسية وأكد ماردنيوس السلطة الفارسية وأجبر الاسكندر حاكم مقدونيا بأن يجدد الارتباط مع الفرس وأراد ماردنيوس أن يسير خلال اليونان ولكن العمارة الفارسية رزئت بالأنواء والعواصف وفقد بذلك نصف سننه التى كانت تحمل ٢٠,٠٠٠ رجلا فى جبال اثوس وتم هذا فى يوم واحد وعاد ماردنيوس صهر دارا متأسفا بحكم سنه وترك الجيش الذى لم يتقدم لتحطم الأسطول الذى يزوده ويقال أن سياسة دار الثابتة التى تنص على عدم بقاء أى قائد فشل لمتابع وإصلاح فشله جعلت ماردنيوس يعود إلى سوسا سنة ٤٩٢ وأنيطت العمليات القادمة بداتيس وارتافيرنز والأخير ابن حاكم ليديا.

الحملة التأديبية ضد أثينا وارتيريا سنة ٤٩٠ق.م.

رأى دارا جوب تسييرا الحملة التأديبية على أثينا واريتريا لتعيد أثينا لحكم هيبياس الطاغية وتلقى الفرس درسًا قاسيًا جعلهم يتجنبون طريق البحر الذى يشمخ فيه جبل أثوس بأنفه المتقدم فى الماء وسلكوا طريقهم عبر بحر إيجة خاصة بعد خضوع أيجينا والجزر الأخرى. وسار الأسطول المكون من ستمائة سفينة إلى ناكسوس فاستعب أهلها ومن ثم إلى ديلوس التى تُركت لحرمتها واتجه إلى شاطئ أيوبيا بدلا من الاتجاه مباشرة إلى أتيكا كما تحكى الاستراتيجية الصحيحة.

تدمير أريتريا :

وعندما وصل الأسطول إلى البر أرسلت إليه قوة تحركت الأسطول عبر القناة التى تفصل أيونيا من أتيكا وضربت القوة الفارسية حصارًا حول أريتريا واستولوا عليها بالخيانة رغم بسالة أهلها واتحادهم ديمقراطيين ومحافظين . وارتكب داتيس خطأ فادحًا فبدلاً من ان يتناهم من العنصر المائل إلى الفرس أحرق المعابد ودمر المدن انتقاما من الاغارات التى شنتها مدنها على سرديس فطرد الأحياء من سكانها إلى التلال ونفى الأسرى إلى

عيلام ولم تقم أثينا بأى مساعدة لهذه المدينة العاثرة لحظ التى شربت كأس انتقام الفرس حتى الثمالة ، وأثارت هذه الوحشية الكرامة الإغريقية فصمم اليونانيون على الاتحاد فى وجه الغازى متناسين منازعاتهم ومتيقنين أنهم لن يروا أى رحمة إذا هُزموا .

موقعة ماراثون ٤٩٠ق.م :

وبدلاً من أن يتجه قواد الحملة إلى أثينا مباشرة وجعلها هدفهم الأول أضاعوا أياما ثمينة فى معارك ثانوية فقصد لإغاظة العدو واتجاه ونصح هيبياس – طاغية أثينا المعزول والذى كان قد انضم إلى الأسطول الحربى – أن يبحروا حول خليج ماراثون الذى يقع فى أتيكا ويصل إلى أثينا ويقع على بعد أربعة وعشرين ميلا فى شمال شرقها وكان الاقتراح سليما لأن سهل ماراثون كان مرسى صالحًا للأسطول الفارسى وطريقا مسعفا إلى الاكروبوليس (قلعة أثينا) عندما يفوز هيبياس وأنصاره الفرس . كما اختيرت ماراثون لصلاحيتها للفرسان فلو تلاحم الجيشان وكانت أثينا فى الفضاء وكان النصر مؤكدًا للفرس وإذا لم يأت الأثينيون يستطيع الذهاب إليهم وقهرهم فى عقر دارهم .

وتجمع جيش أثينا فى مكان ممتاز يشمل منطقة ممهدة عبر سبيل مطروق تصل إليها نجدة اسبرطة وكانت قوات أثينا ما بين تسعة أو عشرة ألاف رجل . وفى هذا الظرف العصيب التمست أثينا العون من اسبرطة فأرسلت إليها رسولا عدّاءً سريعًا يتوسل إليهم أن يدعوا الإغريق يصبحون عبيدًا بصرارة وقطع هذا العداء أكثر من مائة ميل فى الأرض الوعرة فى أقل من يومين (تاركًا حتى اليوم قصة فدائة تروى فى سباقات المارثون) ولكن الأسبرطيين وعدوهم بها حتى يكتمل البدر فى عيد لمارنيا الحد أن بلانايا قد عززت أثينا بفرقة من الجند يصل إلى ستمائة رجل . وتواجه الجيشان وانتظر كل منهما الأخر ليبدأ بالهجوم لعدة أيام . ويذكر هيرودوت

أن الجيش الغازى ينحصر قوته بين الأربعين والخمسين ألفا . وعقد مجلس حربى ليقرر الإغريق هل سيبادرون بالهجوم قبل وصول المدد الاسبرطى أو يفضلوا الانتظار ولم يتفق قادة الجيش الثمانية ولكن ميلتيادس اقنع القواد الآخرين بضرورة الهجوم عندما وصلتهم أبناء سقوط اريتريا . وكانت المسافة التى تفصل بين الجيش ميلا تقريبا ويستطيع الجيش أن يقطعها فى ثمانى أو تسع دقائق وكان جناحا الجيش الإغريقى قويين بينما كان القلب متسعا ليمنع تلك الأعداد الفارسية المهولة من ثنى الجناحين، وبدأ القتال داميا وهجم حملة الحراب الإغريقيين فى جناحى الجيش وسع أن الفرس كانوا فى البداية متقدمين وقلب الإغريق كان ينهزم ويتقهقر إلا أن الجانحين استطاعا أن يتقدما واخترقا صفوف الفرس واتجها إلى مناجزة القلب الفارسى وأجبروا الفرس على الهروب وقد ركبوا أكتافهم واتخذوا سبيلهم إلى البحر هربا وقد هلك منهم ستة آلاف بينما لم يسقط من اليونانيين سوى مائتين.

وكان رايتس ينوى أو يؤمل أن يفاجئ أثينا من البحر وهى خاوية من حماتها وأدرك ميلتياس ما يرمى إليه الفازى فأسرع إليها فى نفس اليوم وما رأى الفرس ألا الجيش المنتصر فى مارثاون ينتظرونهم فعدل الأسيويون على وجهتهم ومحاولة النزول فى البر ولعل مثناهم هو خشيتهم من وصول الاسبرطيين الذين لم يكونوا قد قدموا بعد كما أن خسائرهم قد تزايدت إلى ١٠% وقد تحطمت معنويتهم فبادر الجيش مما وجهه شطر آسيا لا يلوى شئ . وكانت نتائج واقعة ماراثون عظيمة : فلقد استطاع الجيش الاثينى بدون أى مساعدة باستثناء بلاتبا أن يهزم جيشا يفوق عدده أربع أو خمس مرات هذا من وجهة نظر العامة ومن وجهة نظر الإغريقية أن نصر ماراثون كان ذا أهمية عظمى فقد استطاع جيش صغير كان رجاله يفضلون الموت ولا أن يفقدوا حرياتهم أن يهزموا قوى الإمبراطورية الضخمة فى البر فى ماراثون وفى البحر حول فاليرون عندما أثر القائد الفارسى والفوت وأن الفرس غير

حريزين وهذا النصر فاتحة نصر للقوة الإغريقية المتحدة . ومن وجهة النظر الفارسية كانت تعد هذه الهزيمة معنوية وليست مادية لأن الجيش والمال الفارسى بقى بدون نقص كبير إنما تأتى الهزيمة من وجهة الحفاظ على النظام فى الإمبراطورية خاصة فيما يتعلق بالمصريين الذين جعلوا من هذه الهزيمة فرصة سانحة للثورة والتمرد ، وقد يكون الخطر الفارسى مستمرًا ولكن الدفاع المنتظر ذكرى ماراثون العظيمة ويتفاؤل الإغريق الدائم يصبح ممكنا وقويا ولقد أظهر السلاح الثقيل للمشاة لليونانى فى هذه الموقعة تفوقه على أى سلاح أخر كان بوسع الفرس ان يقوى فى الميدان ومهما توزعت اسبرطة من وساوس دينية حين تلكئها فى النجدة فان قواتها وصلت إلى الميدان بعد ثلاثة أيام من اكتمال البدر وبعد يوم واحد من هزيمة الفرس فى الفين رجل والعدو مول الأدباء فلم يبقى أمامهم إلا تحقيق الاثينيين وإكبار شجاعتهم وعادوا أدراجهم إلى أسبرطة .

الثورة فى مصر وموت دارا (٤٨٦ – ٤٨٥ق.م.)

كانت الثوة فى مصر من ثمرات هزيمة ماراثون فلقد فرضت عليها الضرائب الفادحة بينما كانت المهابة الفارسية تترنح فلم يجد المصريون بعدًا من الثورة تحت قيادة كبيشة المنتمى إلى أسرة بسماتيك وأعلن نفسه ملكًا ولم يطلق العمر بدار لينتقم من اليونانيين أو يخمد الثورة المندلعة فى مصر فمات سن ٤٨٥ق.م. . ولقد امتاز دارا بالعبقرية التنظيمية واستحق عن جدارة لقب العظيم ومع كثرة الملوك العظماء الذين تناوبوا عرش فارس كان دارا أعظمهم فهو يشغل مكانا شاهقا بين عظماء الأريين فى التاريخ.

خشا يارشاه أو اخرخيس (اكزركسيس)٤٨٥ق.م.:

تولى خشايا رشاه أو فرجيس العرش بعد وفاة والده وكان ابن اتوسا زوجة دارا الثانية فقد كانت لها من المنزلة والنفوذ فى القصر بمكان حق أن دارا عين ابنها خليفة له وهو المعروف عن الإغريق باكوركسيس

(Xerxes) فصعد إلى العرش بدون أى اعتراض وكان الملك الجديد مشهورًا بالجمال والفخامة ولكنه كان كسولا وضعيفًا وسريع الانقياد لأراء الناصحين ولم يكن ميالا إلى القتال لشغفه بالترف والتعميم وكانت هذه العيوب الطريق الاوحد لخلاص الإغريق ولكن ماردويتوس أصر عليه انقاذ هيبة الفرس وبذلك تأثيرا مقنعا معه حتى اكتسب رأيه فى النهاية موافقة الملك وكان قبل توليه العرش حاكم لبابله واعتلى عرشها مدة اثنا عشر عاما، سار خرخيس تجاه مصر ليقضى على الثروة وبالرغم أن كابشة كان مستعدًا للعاصفة القادمة منذ سنتين خلت الا أن الثورة قد أخمدت واختفى المتمرد وعوقب اتباعه بقسوة ونهبت الدلتا وعين اخو الملك واليا على مصر سنة ٤٨٤ ق.م.

إعداد الحملة الكبرى سنة ٤٨١ق.م.

أتمت التجهيزات لاضخم حملة : عرفها التاريخ القديم واجتمعت عناصره فى كابادجوسيا وساروا إلى ليديا حيث قضى خرخيس فصل الشتاء وتجمعت تحت امرته عناصر الجيش من كلحيٍّ فى الامبراطورية الفارشية الضخمة حت تداخلت الخرافات والاساطير فى أعجابه . ولكن هيروددوت يسوق اعدادا أكثر ضبطا ودقة من الأعدادا الأخرى فكان يأتى على رأس القائمة – بالطبع – الفرس والميديون مسلحين بالرماح والاقواس والسيوف ومثلهم كان والكثيرون والهيركانيون والقاسيون ثم يتلوة ذلك الأشوريون نجوذهم البرونزية ثم البكتريون والاريون والباريثون والقبائل المجاورة لها بالحارب والنباة وكان القايون يرتدون كابات غريبة الشكل مدببة ويحملون الفؤس الحربية وبجوارهم الحضور بمعاطفهم القطنية والاثيوبيون الافريقيون بأجسامهم الملونة ويتسلحون بالاقوا الكويلة والحراب ذات الرؤوس الحرية وكان الاثيويون الاسيويون – جنوب فارس ومكران – يلبسون خوذًا مصنوعة من رؤوس الخيل ثم سكان الخليد الفارسى وتسمه إلى فرق ومجموعات وفاصل يترأس كل قائد فارسى وكان ماردونيوس القائد الاعلى

للمشاة وفرقه (الخالدين) كان لها قائد مستقل اما القوات التى تحويها الخيالة أو الفرسان بما فيها القبائل التى تزود بالعربات تتكون أساسا من الفرس والميديين واشتملت على ثمانية ألاف فارس مزودين بالاوهاق وكان هناك ايضا قاسسيون وهنود والأخيرون كان يعتمدون على عربات تجرها حمير قوى ولم تكن لها أى قيمة حربية كبرى وكان البكتريون والكاسبيون والليبيون بعربات حربية ولم يعدم هذا الجيش حتى من قوة العرب المراكبى الجمال السريعة أما القوات البحرية فكانت ألفا ومائتين وسبعًا من السفن الحربية تحمل مائتى بحار ويمونها الفينقيون والمصريون والإغريق وكل سفينه تحمل قليلا من الفرس والسقايين يعملون كقوتين ومرشدين وكانت هناك أيضا ثلاث آلاف ناقلة ويذكر هيردودوت قائمة هذا الجيش العرموم كالاتى : ١,٧٠٠,٠٠٠ من المشاة ، ١٠٠,٠٠٠ من الفرسان ، و ٥١,٠٠٠ من البحارة والنوتية والمجموع الكلى ٢,٣١٠,٠٠٠ وليس كما يدعى بعض الأوربيون أنهم كانوا يزيدون عن خمسة ملايين جندى ، وهكذا يظهر لنا أن الفرس اعتمدوا فقط على الكم لا الكيف ، ولكن سايكس يفترض أن عدد القوات الأرض والبحرية مجتمعه يقدر بميلون واحد على الإجمال وبإسقاط عدد البحارة فيكون المجموع الكلى على الاكثر ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل فالعدد ليس مرتفع كما يبدو لأن الباقى وهو الجزء الأكبر اتباع للجيش يوضع على خطوط الاتصال بين فرق الجيش وإسعاف المرضى وأسباب أخرى ولكن من الواضح انه لم يحدث قبل هذا الغزو غزو يجاريه فى تعداداه ومع هذه الكثرة يستتبع العف لأن هذا الجيش لا يمكن ان يستقيم ويحتفظ بسرعته فى الحركات الطويلة المتحرفة كما يهدد بمشكلة الغذاء والماء ولا يمكن أن ينفصل من الأسطول أكثر من عدة أيام ويلخص جيرشمان ذلك العدد الهائل فى أن جيش خرخيس كان يضم ستا وأربعين أمة ويقوده تسعى وعشرون قائدا كلهم من الفرس وتميل الميديون والباجيون فيه المراكز التابعة وقضى

خرخيش فى إعداده خمسة أعوام ونذكر بعض المصادر أن عدد الجيش الفارسى كان مائة وثمانين الف رجل ويذكر بين اعداد الجيش المشاة ١,٧٠٠,٠٠٠ جندى و ٨٠,٠٠٠ فارس و٥٤١,٦١٠ رجلا من رجال البحر وعلى أى الأوجه يكون الصواب فان الجيش الفارسى قد اتجه إلى بلاد اليونان الذين استعدوا لهذا الجيش الجرار .

الوضع الحربى فى اليونان :

وقد أتاح تأخر الفرس عن العمليات الحربية ضد اليونانيين فرصة ثمينة لأثينا إذا استطاعت أن تأخذ أهبتها للأمر وارتقت قواتها البرية من الدرجة الثانية إلى الدرجة الأولى وقد حقق ذلك قادتها الأكفاء مثل تمستوكليس الذى فطن إلى وجود توفر أسطول قوى لأثينا كى يتسنى لها الفوز والغلبة على فارس ذلك لأن الأسطول الذى أقل جيوش الفرس إلى بلاد اليونان فى واقعة ماراثون وصل إليها دون أن يجد فى طريقة ما يصده عنها ثم عاد دون أن يكون صفوة مكدر ولكن تمستوكديز قرر أن مثل هذا التحدى لن يتكرر وقد ساقت له الأقدار حظًا لم يكن فى حسبانه حينما اكتشف عرق غزيرا من الفضة فى بلدة لوريوم مما عاد على خزانة الدولة بماله وقد اتفق على ترقية الأسطول كما كان من بين أفراد الشعب الأثينى عدد عظيم من الملاحين منحصره الأسباب مجتمعة لم تكد تنتهى عشر سنوات بعد واقعة ماراثون حتى تحققت سيادة أثينا على البحار . وعندما بلغ الدول الحرة المكونة للجامعة اليونانية طلب خرخيس تسليم "التراب والخضوع" رمز الخضوع خلصوا بخيًا وقرروا أسناد القيادة برًا وبحرًا إلى أسبارطة ولم تتمسك أثينا بحقها البين فى قيادة البحر احتفاظًا بالوحدة وعقدته ثلاثون دولة منهن الخناصر على الدفاع عن وطنهن المشترك وتناست أثينا وايجنيا وما بينهما من أحقاد قديمة أما ولاية أرجوس فقد عرفت العزلة وكان فى طيبة حزب موال لميديا واشترط أمراء تساليا الذين تقع عليهم الضربة الأولى من

ضربات العدوان يتعهد الجميع بالدفاع عن حدودهم ولما رؤى أن الغزاة ربما يلتفون حول معبر تمبة Tempe فى الحدود الشمالية قرر المؤتمر إخلاء تساليا واعتبار معبر ثريموبولى الواقع بين الجبال وبين خليج ماليا هو باب الهجوم المنتظر وأنه هو المكان الذى يمكن الثبات فيه بدلاً من معبر ثمبة فلو سقط هذا المعبر الأخير لإنهاء الدفاع برمته شمالى برزخ كورثه . لقد أتاح البرزخ لكورنثته أن تتحكم فى مدخل البلوبونيز (الجنوب) وأن تربط – مثل السويس – بين بحرين أو خليجيين هما الخليج الكورنثى والخليج الساروني ويفصل هذا البرزخ بين الجنوب وبين وسط وشمال اليونان ولا يزيد عرضه فى أضيق نقطة عن أربعة أميال . لهذا كله أرادت أسبرطة أن تحمى أثينا هذا البرزخ وتترك أتيكا ولكن هذا الاقتراح رفض وتركز الجيش يونانى ممر ثيرموبيلى كما سبق كما احتل الأسطول اليونانى خليج ارتيمسيوم . وكان قائد اليونانيين فى الممر هو يونيداس ملك أسبرطة يحرس الأسطول اليونانى المكون من نيف وثلاثمائة سفينة فى مدخل خليج ارتيمسيوم فى أيوبيا . وتأهب خرحسيس بالخروج من رأس جيشه من اليونان بطريق البر لا البحر وبنى له الفينيقيون جسرًا من الزوارق على نهر هيلسبونت وأنشئت محكات للمؤن فى هذه المناطق وعبر الجيش الجسر فى سبعة أيام متوالية وقد جلس قرطيس مع عرش مرمرى أقيم على جبل أبيدوس وفى شروق الشمس سكب الملك كوبا ذهبيا فى البحر وسيفا وقوسا تقدمت فرقته (الخالدين) مرتدية ضفائر الزهور عابرة الجسر حيث كان الريحان منثورًا عليه وأحصى فرحنيس الجيش فى سهول دور يسكوس والقسم الجيش إلى ثلاث فرق لتلقى فى ثرما وعندما انسحب اليونانيون من ممر تمبه ولم تقدم تيسالى ومقدونيا أى مقاومة وخضع معظم الإغريق فى الولايات الشمالية والوسط باستثناء ثيسبيابا وبلابتايا .

ثرموبيلاى ٤٨٠ ق.م :

سار خرخيس وجيشه الضخم متقدمين من ثرما وأرسل مجموعة للتجسس تبين أن الطريق محتل كان الجيش اليونانى يعسكر بين قواعد الجبال والبحر ووقف خرخيس حائرًا وانتظر نتائج محاولات جنده للاستيلاء على المعقل الأمامى ومتوقعًا أن الأسطول سيساعده ولم يكن يدرى أن الاثينيين كانت مهمتهم الحيلولة بين الأسطول الفارسى وبين مساعدته لجيوشهم البرية لذلك أمر اليدين والقاسيين وفرقه (الخالدين) بالهجوم ولكن اليونانيين ذبحوا الكثير منهم واستمر القتال فى اليوم الثانى بنفس النتيجة وكان خرخيس غارقا فى لجج اليأس وإذا بخائن يونانى (افيالتيس) يخبره بوجود طريق جبلى يؤدى إلى مؤخرة موقع الأسبرطيين وهو طريق متفرع من المعبره الذى كان يحرس الفوقيون فقد كان الأخيرون يحرسون معبرًا آخر عبر التلال فى داخل البلاد كان يخشى أن يسلكه العدو ويصل على جنوب البلاد عن طريق فوقيس (بلاد الفوقيين) . وانتحب الفرس كتيبة (الخالدين) التنفيذ هذه الخيانة . وكان هذا الطريق يبدأ من نهرًا سيبوس وكان الممر والجبل يطلق عليهما اسم واحد وهو أنوبايا ويمتد هذا الممر على ظهر الجبال وينتهى عند مدينة الينوس وما كاد الفجر ينبلج حتى وصل الفرس على قمة هذا الجبل حيث يحرس الفوقيون فى ألف جندى الذين كانوا يحرسون وطنهم الخاص فى جنوب وادى كفيسوس من جهة ولمراقبة الطريق من جهة أخرى . ولما شعر الفوقيون أن وطنهم الخاص بات مهددًا تراجعوا لمن موقفهم فانكشفت مؤخرة الأسبرطيين وأحدق بها الخطر وبعث يسونيداس بنحو ثلثى قوته أو أقل ولقب من الأسبرطيون والثيسبيون ولعله كان يؤمل أن من بثهم سوف ينافحون العدو فى مؤخرة جيشه ولكنهم اصطدموا فى أثناء تراجعهم بالكتيبة الفارسية القائمة بحركة الالتفاف فأجلتهم عن مراكزهم واضحى الاحتفاظ بالممر من المستحيل ولم يرض يونيداس بالتسليم فخرج من معقله الحصين ومن الثلاثمائة الأسبرطيين وكروا كرة

صادفة على الجيش الفارسى الروم والتحموا به متكاتفين إلى أن فنيت القوة عن آخرها واتخاذ الطيبيون فى الجيش اليونانى إلى جانب الإذعان للفرس بعد ما سلمت مدينتهم إلى الجيوش الفارسية أما بقية الجيش فثبتت تقاتل من وراء المعاقل لآخر نفس فيها ومنى الفرس بخسارة فادحة وأصبح اسم ثريموبيلاى يتردد ذكره على كر الدهور والأزمان يذكى فى القلوب روح البطولة والتضحية واقتحم الفرس بذلك الأبواب الخارجية ولم يكن ثمة فائدة من محاولة جيوش البلوبونيز الدفاع عن البلاد الواقعة شمال البرزخ فى وسط وشمال اليونان فخضعت عنوة للعدو .

رياح الشمال :

وفى نفس الوقت كان تحدث أشياء كثيرة فى البحر فلقد انتظر الأسطول الفارسى فى ثرما حوالى أثنا عشر يوما بعد رحيل الجيش كما يقول هيرودوت ولما لم يكن هناك ميناء بين هذا الميناء وخليج بجاساى تقدم الأسطول عندئذ وقد تتبع سفن سريعة استطاعت أن تدرك ثلاث سفن يونانية كانت تقوم بالتجسس فحطمت اثنتان منهما وفرت الثالثة ووصل الأسطول الفارسى سالما إلى ساحل بجاساى ولكن لضخامة أعداده أضطر أن يجثم فى ثمانى خطوط متوازية للشاطئ وكان الطقس هادئا لبعض الوقت وكان سطح الأرض يضطرب بالرياح الشمالية الموسمية تبعا للطقس الصيفى الأيجى . وما يحدث فى فصل الصيف أن درجة الحرارة تزداد فى أغسطس إلى أقصى زيادتها حتى تصل إلى ١٠٤ ° ف فى أثينا وحينئذ ترتفع أمواج الهواء الحار ويأتى الهواء البارد من الشمال (شمال إيجيا) أو الشمال الشرقى (من البحر الأسود) وتهب فى قسوة بالغة حتى أنها تعد خطرًا على السفن المبحرة ويسميها البحارة الإغريق (سيدة الرياح) وحدّد الشاعر هيسيود وقت أبحار السفن بخمسين يوما بعد الإنقلاب الشمس (٢١ يونيو) ويقول الإغريق أن الطقس يظل صالحا حتى نصف أغسطس.

وابتدأت السفن الفارسية ترحل من ثرما حتى وصلت بعد يوم كامل إلى الجزء المواجه لجبل سيباس من أقليم مغنيسيا وفى شروق الصباح أرغد البحر وأزبد وهبت العواصف والأنواء والرياح القادمة من الشرق والتى يطلق عيها الإغريق اسم Hellesponter وعنما تحقق الفرس من تزايد عنف الرياح أسرعوا – من بالقرب من الشاطئ – إلى الاحتماء أما من بعدت فقد اصطدمت بصخور وبعضها ارتطم بالشاطئ بل وصل بعض هذه السفن حتى خليج سبياس نفسه وكانت عاصفة فوق الاحتمال وتذهب القصص الإغريقية أن الأثينيين صلّوا للرياح الشمالية وطلبوا منها أن تنتقم لهم من البرابرة وتبعثرت السفن على طول خمسين ميلا من الشاطئ حتى سفح جبل أوسا الجنوبى الشرقى وأضحى سكان الجبال أغنياء من أسلاب هذه السفن واستمرت العاصفة ثلاثة أيام توقفت بعدها استجابة لصلاة وتضحية المجوس كما تذكر قصص الإغريق . ولقد تحطمت بسبب هذه العاصفة أربعمائة سفينة على الأقل .

معركة بحرية :

بعد هدوء العاصفة توجد الأسطول المحطم عبر البحر إلى أفيتاى واستقر فى اليابسة المواجهة لأرتميسيوم (خليج) وأرسل الفرس الذين لم يكونوا يحلمون بالهزيمة مائتين سفينة تبحر حول أيوبيا ثم تسير إلى المضايق التى تفصل هذه الجزيرة من اليابسة عليهم يجدوا بالقرب من هناك الأسطول الإغريقى بأجمعه وصح ما رجوه ودارت معركة هاجمت فيها العمارة اليونانية تمت قيادة اسبرطة الأسطول الفارسة وأسرت ثلاثين سفينة ولم تكن المعركة بأي حال حاسمة وفى الليلة التالية شنت السفن اليابانية حربا أخرى أفنت فيه الأسطول الفارسة الذى بعث حول ايوبيا ولقد ساعد تعزيز أثينا القوى الأسطول اليونانى فى هذا النصر المؤزر وكانت هذه السفن الأثينية (٥٣ سفينة) تحرس مضيق كالسيز ولكن فى المعركة التالية وهى الأخيرة

هاجم الفرس – الذين كانوا يتلقون الأمر تلو الأمر من خرخيس لاقتحام الأسطول اليونانى والاتصال بالجيش – العمارة اليونانية وكان نضالا يائسا ورجحت كفة الفرس وتحطمت بعض سفن الإغريقيين عندما أتت الأنباء التى توحى بهزيمة اليونانيين فى كارثة تريموبيلاى فتغير الموقف وانسحب الأسطول اليونانى ولم يتعقبه الأسطول الفارسة وترك السفن اليونانية المحطمة تمر بدون استيلاء عليها وأبحر الإغريق الهوينى على طول ساحل جزيرة أيوبيا شطر البرزخ .

الاستيلاء على أثينا :

وسارت الحرب فى مجراها لصالح الفرس فاقتحموا ممر ثريموبلاى وأضحى وسط اليونان بدون حماية الغزاة وسار خرخيس من فوسيس التى دمرت ومن ثم إلى أتيكا ولجأ الأثينيون إلى الأسطول حاملين معهم السكان غير المقاتلين وكل ما استطاعوا حملة من المتاع والثروة إلى إيجينا وسلايس ومكثت فرقة من الجند تزود عن الاكروبوليس مستندة إلى تكهن من دلفى يقول " أن الأثينيين يجب أن يثقوا فى جدرانهم الصوفية " وأن استطاعت أن توقف الفرس موقفا حرجًا نو أسبوعين إلا أنهم هزموا وأبيدوا عن آخرهم وانتقم خرخيس لتدمير ساردیس فأحرقها بعد أن دمر كل شئ من سكان ومعابد ومنازل واستحل محرمات أثينا .

معركة سلاميس ٤٨٠ ق.م.

أضحى الوقت فى اليونان خطيرًا ولقد زاد من خطورته أن الأسطول الفارسى ما يزال سليما ولم تنزل به هزيمة نكراء بعد وفاة أمكانه إنزال جيشين برى على أرض البلوبزنيز ليزيد الطنبور نغمة فلا سبيل إلى الحيلولة دون عمله هذا إلى بالقضاء المبرم عليه . وقاد تمستوكليز الأسطول اليونانى إلى جزيرة سلاميس بعد أن ترك ارتميسيون فى محاولة لإنقاذ أسير الأثينيين اللاجئين وتلقف الأسطول اليونانى أخر تعزيز له فى أريميسيوم يحوى

أربعمائة سفينة ومع ذلك فقد كان عدد سفن العدو أعظم عددًا وأظهر قوة من هذا الأسطول اليونانى . وقد تسبب الاستيلاء على أثينا وتعدم الأسطول الفارسى إلى فاليرون فى بث الجزع حتى أن البلوبونيزين – المشهورين تبعا مبهم إلا عن مصالح إقليمهم الخاص – أصرت على تقهقهر الأسطول إلى برزخ كورنثه بدون اهتمام بمصير الأثنيين كانت حجتهم أنهم لو هزموا فى سلابيس فلن يتجنبوا نقمة الفرس بينما يستطيعون فى برزخ كورنثه أن يحتموا بقلاعه وحصونه وانعقد مجلس حربى يترأسه أبو ريبياس ملك أسبرطة وظفر رأى تميستوكليز باستفادة على أن الأمل الوحيد لليونانيين أن يحاربوا فى المياه الضيقة ولن تعوقهم ضخامة الأسطول الفارسة عن الذى عن برزخ كورنثه رغم أن الأثينيين لم يكونوا فى موضع من يقترح اقتراحا منذ أن فقدوا وطنهم.

بعث تميستوكليز رسولا إلى خرخيس ظاهرة الخيانة وباطنه اليونانى المخلص يقول أن الإغريق فكروا فى التقهقهر وهذه فرصته لكى يدمرهم ولكون خرخيس متعودًا على الخيانة اليونانية انطلت عليه الحيلة وبعث عمارته البحرية المصرية المكونة من مائتى سفينة ليغلقوا الممر الغربى الذى بين سلاميس وميجارا وتقدمه أسطول الفرس الرئيسى من مكمنه بفاليرون وانتظم فى ثلاث خطوط على كلاجا بنى جزيرة بيستالريا التى احتلها جيش فارسى واستوثق خرخيس من النصر وكان جالسا فوق مرتفع من الأرض على مرأى ومسمع من المعركة وكانت المعلومات المنبئة عن تحركات الأسطول الفارسى تصل إلى المجلس اليونانى بانتظام . وتفرد الأسطول اليونانى بالتجانس فى قوته أولا وسرعة حركة فى المياه الضيقة ثانيا على عكس الأسطول الفارسى المختلط البطئ الحركة. الحركة المثقل بالأحمال وبالرغم أنه كان فى البداية يتحرك فى شقة مياه متسعة إلا أنه أضحى بفعل المضايق التى تركز فيها ينتظم فى عمود رأسى ويواجه العدو اليونانى

منتظمًا فى حظ استقيم أفقى ، ولكن ذلك لم ينقص من شجاعة رعايا الملك العظيم الذين كانوا متأكدين أنهم يحاربون على مرأة سيدهم القاسى.

وابتدأت المعركة فى اليوم الأول تسير إلى جانب الفرس وعندما أشرق الصباح تقهقهر الإغريق بسفنهم إلى الشاطئ ولكن يأسهم أو صلهم فجأة إلى البطولة المتقطعة التنظيمية فتقدمت السفن الاثنين والإيجية والأيونيوية ما بين جزيرتى بستياليا وسلاميس وتقابلت العمارة البلومبوينزية بالعمارة الفينيقية التى تحركت بين اليابس وجزيرة بسيتاليا وابتدأ القتال ولم تستطع تلك الإعداد الفارسية الكثيرة أن تتقدم أكثر من أن تتأخر فى عرض البحر الضيق وبالرغم من أنهم حازوا أرضًا فى جناحهم الشمالى إلا أن جناحهم الأيمن اخذ يتقهقهر وينهزم أمام ضربات الأثينيين والإيجيين وفى النهاية استسلم الفرس فى كل الخطوط وتقهقهر إلى فاليرون وعقدت ألوية النصر لليونانيين وخسر الأسطول الفارسى مائتى سفينة باستثناء ما أسر منها ببحارتها ولم يخسر الإغريقيون سوى أن أربعين سفينة ، ولم يطارد اليونانيون الفرس وقضى اليونانيون الليلة التالية على شاطئ سلاميس يعدون بتحديد القتال فى الصباح وفى ظنهم أن المعركة لم تنته وأن الفرس انهزموا وانسحبوا وأنهم هم المنتصرون وعندما أشرق الصباح لم ير اليونانيون الأسطول الفارسى المنهزم .

انسحاب خرخيس :

إلَّم تكن الهزيمة ذات أهمية عظمى للفرس – فقد كان الجيش الفارسى سليما والمناطق المسلمة ما زالت تحت أيديهم ولم تكن قوات العدو شيئا بالنسبة لعدد الفرس – إلا أن طبيعة خرخيس القابلة للغضب جعلته يفقد رشده بعد ما رأى الكارثة ويقتل القائد الفينيقى البحرى فغضب مواطنوه الفينيقيون وانسحبوا من المعركة واقتدى بهم المصريون قديما خرخيس مجلس الحرب بأدنى اهتمام بالهيبة الفارسية واقعه ماردرينوس بالعودة إلى ساريس ويترك

معه ثلاثمائة ألف مقاتل لا كمال إخضاع الإغريق وانسحب الملك بدون إزعاج من جانب الإغريق من أتيكا وتوقف فى ثيسالى ثم واصل تقهقره بعد أن فقد آلافا من الجنود بفعل الجوع والمرض وعندما وجد أن الجسر المقام على نهر هيلسيونت قد حطمته الرياح هرب فى سفينة إلى أسيا بينما قضي الاف الجنود الجوعى نحبهم وحاول تمستوكليز المتقدم لتحطيم جسر هيلسيونت ولكن يمن بريبيادس رفض بالطبع وقامت الرياح بهذا العمل نيابة عنهم .

حملات ماردنيوس :

وجد ماردنيوس فى غياب الملك راحة له فلقد تخلص من بعض الأعداد الفارسية التى يعوزها النظام ومن وجود الملك وحاشيته الذين ينظر إلى أمورهم قبل أمور الجيش المقاتل وتخلص أيضا من تدخل الحاشية فى سير العمليات الحربية تدخلا لا طائل من ورائه ونظرًا لأنه تخبر بطباع اليونانيين فقد مرر أن يغير خططه الحربية ففتح باب المفاوضات مع الأثينيين عن طريق الاسكندر ملك مقدونيا وقدم إليها تحالفا معه مع حكم مستقل وذاتى لها مقابل أصلاح أثينا والتخلص من مواقع حلفاء الملك وعندما علم الاسبرطيون بذلك أرسلوا بعثة إلى أثينا تحثهم على الرفض وبالرغم من مواقف المخزية وتذرعها بالوسائس الجينية مع أثينا فإن الأثينيين المنهوكين قد قبلوا أيمان المبعوثين المغلظة ورفضوا بنبل هذا العرض المغرى فـ "طالما تجرى الشمس فى مسارها السماوى فلن نشترط مع خرخيس".

وعندما تحقق ماردنيوس من فشله فى عزل أثينا عن بقية اليونانيين سار جنوبا من ثيسالى واحتل أثينا وأتيكا بعد عشرة أشهر من زمن احتلاله الأول لأثينا ونقل الأثينيون أسرهم إلى سلاميس ولم يقدم لهم حلفاؤها أى مساعدة . وفتح ماردنيوس باب المفاوضات ثانيا ولكن بدون نتيجة ولم يتحرك الحلفاء ولكن عندما مات كليونبروتس تبنى الحاكم الاسبرطى الجديد سياسة أكثر فاعلية فأمر جيش البلوبونيز بالتقدم شمالا لمناجزة العدو وتقهقر ماردونيوس

إلى بويوتيا حيث يستطيع أن يتلقى المدد من الحلفاء وحيث يستطيع أن يستخدم الخيالة أكثر من استعمالها فى أتيكا ذات التلال الوعرة ومن اليونانيون فى منحدرات جبال كيثايرون المنخفضة حيث كانوا اقل عرضة من هجوم الخيالة الفرس لعجم وجود الخيالة (الغربان) بينهم وبعث ماردونيوس – طبقا لأسلوب الفرس – قسما بعد قسم من الفرسان وكبدوا اليونانيين خسارة ظاهرة ولكن حصان قائد الجيش الفارسى القاه من على صهرته فلندفع الإغريق وقتلوا القائد الفارسى (ماسيتيوس) وحاوله الفرسان الفرس استرجاع جثته بدون جدوى فعادوا مثبطين الفرم.

موقعة بلاتايا ٤٧٩ ق.م.

ترك الجيش اليونانى مواقعة الأولى فى حماية الجبال وعسكروا فى موقع أخر يحث كانت تجرى روافد نهر اسويس شماله ويقع نبع جارجا فيا يمينه وكان نهر أسويس يقع بين الجيشين الفارسى واليونانى . وكان ماردونيوس يستعجل الحرب نظرًا لقلة المؤن وكانت خطته أن يضعف من معنوية اليونانيين باستخدامه قوة الفرسان ورشق الفرسان الجيشين اليونانى نبالهم وسهامهم وامتلأ نبع جارجافيا بجثث القتلى وهو المنبع الذى يعتمد عليه الإغريق فى تموينهم بالماء وصمم القادة الإغريق أن ينسحبوا من هذا الموقع المضنى أثناء الليل إلى موقع أفضل فى بلاتيا ومع صعوبة هذا الانسحاب إلا أنه كان كارثة على جيش اليونان فقد رفض أحد القادة الاسبرطيين الانسحاب لبضع ساعات وفقد القلب – المكون من فرق قليلة – الاتصال بالأجنحة ووجود اليونانيون أنفسهم فى وضح النهار منفصلين تماما عن بعضهم حتى أن بقية الجيش ما عدا الاسبرطيين الذى كانوا قرب العدو – لم يروا أقسام الجيش الأخرى ووثق ماردونيوس من النصر فقد كان جيشه يتألف من ٢٠٠,٠٠٠ فارس و ٥٠,٠٠٠ إغريقى فى مواجهة ١٠,٠٠٠ إغريقى كانوا منقسمين على الأقل ثلاثة أقسام لا يستطيع أحدها الاتصال بالآخر وقذف

ساردونيوس بالفرسان ثم بالخالدين على الاسبرطيين الذين التجأوا الى السهام وهجموا على أعدائهم وبالرغم من بسالة الفرس إلا أن أضعف لباسهم الحربى حبل مجهودهم بدون طائل وتقررت المعركة بموت ماردونيوس فى مقدمة الخالدين الذين تساقطوا حول جثته بالآلاف وهرب الجيشين الفارسى فى قومى واضطراب إلى معسكرهم وهجمت فرقة إغريقية تابعة للفرس على الأثينيين المتجهين لمساعدة الاسبرطيين ولم تؤثر فيها وتابع الأثينيون تقدمهم حتى وصلوا إلى معسكر الفرس وبرغم تحصينه القوى استطاعوا أن يخترقوه وكانت مذبحة هائلة فى معسكر الفرس وهرب ثلاثة آلاف فارس- بحسب رواية هيرودوت – وانسحب ارتامازوس القائد الفارسى الذى كان يعارض خطط ماردونيس بأربعين ألف جندى بدون قتال وبذلك تم نصر المشاة اليونان على فرسان الفرس الهائلة نصرًا مؤزرًا يرجع الفضل فيه الى الاسبرطيين برغم ما حدث من انقسام داخل الجيش اليونانى.

موقعة ميكاله ٤٧٩ ق.م.

وتجمعت القوى الفارسية : وكانت تتكون من ستين الف رجل فى ميكالة أربعة تدمير اليونانية الاسطول الفارسى الكائن بالغرب من ساموس – فى أسيا الصغرى تجاه جزية ساموس لأرهاب الأيونيوين فأبحر أسطل اليونان من مركزه فى ديلوس واتجهوا إلى ساموس ملبيا نداءاً استغاثتها وهناك وجدوا نقطة صالحة فأنزلوا جنودهم فيها وتقدموا إلى معسكر الفرس فى ميكاله وهجموا عليه هجمة صادقة واتحتلوه وكسبوا بذلك نصرا مجيدًا وتم احراق جميع السفن ولا شك أن اخوانهم الايونيويين قد أسدوا اليهم المعرفة فى هذه الحملة . وكان الاعتقاد السائد أن معركتى ميكاله وبلاتابا وقعتا فى يوم واحد (٢٧ أغسطس سنة ٤٧٩) كما يظن جيرشمان ولكن خيال اليونان الشهير هو الذى يعنى بأمثال هذه المصادفات وسرى التمرد فى ايونيا وغيرها سريان النار فى الهشيم كان من نتائج واقعة ميكالة والتحق كثير من

الأيونيون إلى الحلف اليونانى بعد ما الذى اجتاز مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم ووضعت أثينا نفسها فى مقدمة حلف ديليان.

الاستيلاء على سيستوس :

ويرجع الاستيلاء على سيستوس إلى مثابرة الأثينيين على هذه البلد المحض فكانت تقع على الجانب الاوربى من نهر هيلسيونت وكانت رأس جسر لعبور الملك العظيم وهربت الحامية الفارسية لعجز قادتها على فهم هذا الموقع الاستراتيجى العام وتتبعها الأثينيين ولحقوا بها ودمروها وانهى الاستيلاء على سيستوس – الفصل الأخير من مسرحية الحروب الفارسية العظمى بعد أن طرد الفرس خارج مستعمراتهم فى أسيا الصغرى ولقد كلف ضعف خرخيس الفرس غاليا ودفعت أوربا بآسيا خلف المضايق .

نظرة حول الحروب السابقة :

أن نصر الإغريق الذين لم يكتمل نموهم على الإمبراطورية الفارسية الجسيمة يبدو منذ الوهلة الأولى فريدًا من نوعه ولكن بالدراسة يصبح أكثر قبولا للعقل فبالرغم من شجاعة الجنود اليونانيين الفائقة إلا أنهم رزئوا بقادة كثيرًا ما كانوا عاجزين ومترددين ولا يستحقون أن يكون فى موضع القيادة .

وإذا تقصينا أسباب هزيمة الفرس لوجدنا أن ذلك يرجع إلى بعض اخطاء فى الدبلوماسية القفارسية فلم يكن حشد الجنود الفرس على أساس استعدادهم الحربى وأدواتهم الحربية وإنما كان على أساس مرجع عنصرهم وبالإضافة إلى ضعف معنوية الفرس – لوجودهم بعيدا عن مواطنهم الأصلية – فلم تكن لهم القدرة على القتال مثل اليونانيين فى الأراضى الوعرة ونما كانت تدريبهم الحربى معتادا على القتال فى السهول الواسعة فى آسيا حيث تقل المشاة وتكثر الفرسان . كما كان هناك اختلاف بين فى السلاح والمعدات الحربية اليونانية ، مدربين على استعمال الأسلحة الثقيلة بعكس الفرس المعتمدين على العدد والكم لا على الكيف والحال كما كان للبعد القاعدى

الفارسية عن بلاد اليونان أثره بإخلال التناسق والنظام بين صفوف الجيش الفارسى الذى لم يستطع أن يقبض ويتحكم فى البلاد اليونانية بشدة ولمدة طويلة وقلت المؤن والأطعمة وتعرض الجيش للمجاعات كما حدث قبل انسحاب خرخيس ووجدت سفن أيونيوية بعدد ملحوظ فى الأسطول الفارسى وكان الأيونيويون مرتبطين بالقضية العامة مع اخوانهم الاوربيين . وفوق كل شئ فكانت القيادة من قمتها عاجزة وثقة الملك العظيم ، ذى الشخصية الضعيفة فيصبح الناصحين العمياء كان له أثركبير فى هزيمة الفرس وأخيرا فإن العداء المر الذى أشعله الغازون قد انقذ الحضارة الهيللينية من أن تستشرق وتقع تحت تأثير حضارة الشرق .

معركة ايريميدون ق.م.

وبعد اثنا عشر عاما من الحرب المتواصلة استطاعت مجهودات الإغريق تمت قيادة كيمون بين ميلتياردس من أن تكلل بالنجاح فى نصر رائع على أرض بريميدون فى خليج بما مفيليا حيث – كما حدث فى ميكاله – أرسوا قوتهم وهزموا الجيش الفارسى المتحضن إلى جانب تحطيم الأسطول الفارسى واتكمل النصر بالاستيلاء على ثمانين سفينة : فينيقية : جاءت لتعزيز أسطول الفرس وأصبح البحارة فى الاسيويون يخشون القوة البحرية ويتحنبون لقاءها إلا إذا اضطرتهم الظروف . وبهذا النصر منذ الإغريق وجهة النظر الفارسية التى تقول أن حملات الإغريق فقدت كثيرا من أهميتها بعد انسحاب خرخيس .

وبهذا ينتهى الفصل الأخير من مسرحية الحروب الكبرى بين إيران واليونان ، وانتهى من بعد ذلك التفوق الإيرانى فلم يعوض الإيرانيون ما كانوا فقدوه ، وغدا التنافس بين الولايات اليونانية حاجة أثينا وأسبرطة واستخدام الذهب الفارسى بدل السلاح والفداء الإيرانيين دافعًا للتدخل الغيرانى فى الشؤون اليونانية وبسط سيطرتهم على اليونانيين فى فترات قصيرة .